



هكذا انتهت الحكاية، بموتِ رخيص، لا يهمَ من كان سببه، النظام الأسدِي أم الجيشُ الحرُّ، المهمَ أنَّه موتٌ رخيصٌ و كفى. محمد سعيد رمضان البوطي، كان الكبيرُ فينا، كان رمزاً نقِيَاً كما الذهبُ الخالص لا تخالطُه الشوائبُ، لا يخلو بيتُ سوريٍ من كتبِه، وقراءاته وتحليلاته وتسجيلات خطبه ومحاضراته، وبقدر ما كان كبيراً فينا، بقدر ما كانت صدمتنا كبيرة فيه.

فالعلم الغزير والفكر السديد والفلسفة الريانية تبقى مجرد وهمٍ مالم تقرن بقوة التطبيق والعمل، والإيمان هو ما وفر في القلب وصدقه العمل، والبوطي لم يستطع أن يختم حياته كبيراً كما بدأها، إذ أنَّ موقفه في تأييد الأسد وبرير جرائمه ألبسه عمامَة الذلَّ بعد العزَّ، وملاءة الشيطان بعد روحانية الملائكة.

تفاوت الأقوایل في سبب تأييده للأسد، بعضهم قال: أصابه خرف كبار السن، وبعضهم قال خائف جبان مرغم مهدد، وبعضهم قال منافق رعدي ممالئ وصوليٌّ متتفع.

مات وذهب سره معه دون تبرير لمواقف الذل والمهانة. كرم الله العلماء وضرب مثلاً لعلماء السلطان الفسقة قائلاً جلَّ في علاه "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَأَخَ مِنْهَا فَأَنْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَعَنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصُوهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الأعراف: 175-176.

مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كلَّ الجدة على ذخيرة اللغة من التصويرات. إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه ويعطيه الفرصة كاملة للهدايَ والارتقاء ولكنه ينسليخ من هذا كله انسلاخاً.

ينسلخ كأنما الآيات أديم له متليس بلحمه فهو ينسليخ منها بعنف ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق ويتجرد من الغطاء الواقي وينحرف عن الهدي ليتبع الهوى فيلتصق بالطين المعتم، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب يلهاه إن طوره ويلهاه إن لم يطارد. وفي صورة جلية أخرى، يصوّر الله - تعالى - العالم الضال بالحمار؛ "مثُلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثُلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" الجمعة: 5.

وكذلك عبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أولئك حين قال: "إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أَمْتِي الْأَثْمَةِ الْمُضَلِّلِينَ"، والإمام

المضل يحمل وزر نفسه ووزر من تبعه إلى يوم الدين.

ومن فضل الفتن في الدنيا أنها تكشف المنافقين المدعين الأفاقين من المؤمنين، وتميز الخبيث من الطيب، وتمحص القلوب ليصطفي الله من عباده المخلصين.

وكم سقطت عيّام ولحي لم تكن خالصة لوجه الله، بل كانت أداء بيد الحاكم استخدمها لاستعمال الأغلبية المسلمة ولبرير سوء أعماله، ووسائلهم إلى ذلك ليَّ أعنق الآيات لخدمة السفاح وتلتئم له الأعذار وتزين له الباطل، وتظهره بمظاهر المصلح الأمين وهو الطاغوت الزنديم. وكثير هؤلاء كان علامة الشام البوطي الذي علم السحر فنون السحر.

وإن تتبعاً عميقاً لتصريحاته منذ قيام الحراك الثوري في الشام يجعلنا نؤمن بما لا يدع مجالاً للشك أنه منافق عند الله كذاب، فمرة يتهم المتظاهرين بأنّ جيابهم لا تعرف السجود، ومرة يصفهم بالحالة المأجورين والملاحدة الحاذقين على كتاب الله الذين يتمرون عليه كلّ جمعة، ومرة يدعي أنّ أصابع صهيونية تحركهم بتخطيط من الخارج، ومرة يتحدث عن سلة إصلاحات سيده تخدير الثورة وشلّ يد التأثيرين، ومرة يتمنى أن يكون إصبعاً في يد حسن نصر الله، ومرة يفتني الناس أن تسرد فوق صورة بشار لله - تعالى - وتعتبرها سجادة، ومرة يردّ على معتقل يستفتيه بمن عذبه في السجن ليشهد أنّ لا إله إلا بشار، فيردّ عليه: "لا تسألني عن النتيجة وسائل عن السبب، فلو لم تخرج على النظام الحاكم لما سجنت أصلاً"، ومرة وجد روسيا والصين أفضل عند الله من علماء المسلمين.

ومرة يشبه جند الأسد بالصحابة ويتمنى أن ينضمّ لصفوفهم وأخر إبداعاته التي توجّت نفافه فتوى إعلان الجهاد في صفوف جيش الأسد.

فكيف لا يمعن الأسد بالقتل وسفك الدماء وقد وجد من يبرّ له جريمته ويزين له قبح عمله؟
لقد رأى البوطي فساد الحاكم ولم يدعو للخروج عليه، وهو يعرف بطلان ولايته أصلاً، ويصفها بأنّها "بيعة خالية من الشوائب".

وقد اتّضحاليّاً من الشوائب أنّ البوطي ما هو إلا أحد المتاجرين بالدين، علماء السلاطين، الذين جعلوا إلهمه هو لهم، وصدق من قال: "إنّ شرّ العلماء أقربهم إلى الأمراء".

مات البوطي وكما تفاوتت الأقاويل في موقفه تفاوتت أيضاً في طريقة موته.حسب رواية الإعلام السوري الأسدى قتل البوطي في عملية تفجير انتحاري استهدفت جامع الإيمان في حي المزرعة في دمشق حيث يصلّي البوطي ويعطي الدروس الإيمانية، ونسب الإعلام الأسدى الجريمة للجيش الحرّ رغم وجود المسجد في منطقة يستحيل وصول الجيش الحرّ إليها بسبب التعزيزات الأمنية الكبيرة.

وقد نفى الجيش الحرّ مسؤوليته عن الجريمة واستنكرها فالجيش الحرّ لا يستهدف بيوت الله أبداً و لم يكن البوطي أصلاً أحد أهدافهم، فحرّبهم تستهدف الوصول لرأس الطاغية و جنوده المحاربين على الأرض.

كما أنّ الصور التي بثّت من موقع الحادث لا تبدي أي آثار لتفجيرات فالمكان نظيف لم يحركه ساكن سوى بعض التخريب الذي بدا مفتعلًا، و الجثث مصابة بالرأس فقط دون آثار تفجير وأشلاء مقطعة وحرق جثث كما العادة نتيجة التفجيرات.
والأهم من هذا كلّه لم تشاهد جثة البوطي أبداً مما آثار شكوكاً أنّ القصة مفبركة برمتها وأنّ البوطي لم يقتل.

في رواية الشيخ عدنان العرعور، قال أنّ البوطي كان مريضاً وقد مات موتاً طبيعياً بين أهلٍ واختلق نظام الأسد هذه القصة ليتهم جبهة النصرة والجيش الحرّ بالإرهاب وأنّهم يستهدفون رجال الدين وبيوت الله تشويهاً لسمعتهم.

و في رواية من أحد أقرباء البوطي أنه كان مريضاً وقد دخل مشفى أميّة بدمشق قبل وفاته بأيام حيث توفي.
كما أنّ أسماء الشهداء الذين راحوا ضحية العملية كانت لشباب صرّ أهلهم أنّهم كانوا معتقلين في أمن الدولة منذ فترة.
وكلّ المؤشرات تدلّ على أنّ النظام الأسدى هو الفاعل الحقيقي للمجرم الجبان الذي أتقن لعبه تبادل الأدوار و تمثيل دور

الضحية ليغطي أعمال الإرهاب التي يمارسها ضد شعب خرج على الظلم ونادى بالحرية والعدالة والكرامة. رحل البوطي ومن فضل الله أنّ رحيله كشف البوطيين من رجال الدين، أولئك الذين ترحموا عليه وحاولوا تبرير مواقفه الخسيسة، ونسوا أن فتاویه في دعم المجرم كافية لعقابه عند الله بل إنّ أرواح أطفال الحولة الذين ذُبحوا على يد العصابة الأسدية لو وضعت في ميزانه لكفت أن تهوي به في جهنم سبعين خريفاً.

فطوبى للفتن.. فهي التي تميز **الخبيث من الطيب**، وفي أشدّ أوقات الفتنة تشتدّ الحاجة إلى معين صاف نرده وننهل منه ونستمد منه النور والرؤى الصالحة والقدوة الحسنة، وأهل الشاماليوم يأمس الحاجة لصوت أئمتهم الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه، والذين لا يخشون في الله لومة لائم، وإنّ أعظم الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر.

المصادر: